

# العقد الاجتماعي في ليبيا: نحو التغيير أم نكوص إلى الماضي

## العشرية الأولى من الثورة تفشل في إرساء عقد اجتماعي بديل عن عقد القذافي



بعد مرور عشر سنوات على ثورة الـ17 من فبراير في ليبيا لا تزال التساؤلات تحوم حول الأجندة التي ستجمع الليبيين في المرحلة المقبلة بعد أن فشلوا طيلة هذه العشرية في وضع عقد اجتماعي بديل عن ذلك الذي أرساه العقيد الراحل معمر القذافي والذي دام لأربعين عاماً قبل أن تندلع الثورة وتتم الإطاحة به وبنيظامه.

طرابلس - احتفى الليبيون في الأيام الماضية بالذكرى العاشرة لثورة 17 فبراير 2011 وسط تفاؤل حذر بما تحمله المرحلة المقبلة من تحديات لا سيما على المستوى السياسي الذي يشهد انفراجة قد تفضي إلى حل للأزمة التي طال أمدها.

وافضت ثورة 17 فبراير في ليبيا إلى نهاية العقد الاجتماعي الذي أرساه العقيد الراحل معمر القذافي واستمر على مدى أربعين عاماً، لكن من أسقطوا نظام القذافي فشلوا في وضع عقد اجتماعي جديد يراعي مصلحة الشعب الليبي الذي مزقته آلة الحرب.

ويقول طارق مجريسي وهو زميل سياسيات في برنامج شمال أفريقيا والشرق الأوسط في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية إنه "في حين أن النظام القديم ربما مات مع موت القذافي، فإن الفشل في ولادة نظام جديد قد تسبب في تداعي العقد الاجتماعي والسياسي في ليبيا، وإذا أرادت الدولة بناء نفسها مرة أخرى، فيسليم إنشاء عقد اجتماعي لبناء ليبيا جديدة مقبولة لدى معظم الليبيين".

### ثورة أنهت عقدا اجتماعيا ولم تفرز بديلا

إلى الشروع في ثورة لم يكونوا متأكدين تماماً إلى أين ستؤدي بهم. ويرى مجريسي أن عملية المؤتمر الوطني للأمن المتحدة مهدت الطريق إلى عقد اجتماعي جديد من خلال مؤسسات موحدة ولا مركزية وفهم جديد لكيفية ممارسة الليبيين لحقهم في ثورة ليبيا. هذه معالم يجب توجيه ليبيا نحوها إذا أرزت المحادثة التفاعلية حول إنشاء عقد اجتماعي تقدماً واستمرارية.

ويتابع أنه "في حين أن هذه الرؤية يمكن أن تساعد في توجيه الثورة الليبية، فإن معالجة الظلم هي السبيل الوحيد لاكتساب الثورة القوة والنفوذ. وهذا هو السبب في أن التطورات السياسية والعسكرية والاقتصادية ستصدر عناوين الأخبار دائماً، إلا أن الاستثمار في برامج العدالة الانتقالية والصالح الوطنية هو المفتاح لتسوية دوامة العنف في ليبيا".

مناصب في مؤسسات الدولة رغم الجرائم التي تلاحقهم. وأصبح عبث هذه الميليشيات وقادتها وأمرء الحرب روتيناً ما أرغم الدولة على التوحد إلى المجموعات المسلحة، وقرر المجتمع الدولي تدريبهم وتطويرهم كشركاء، وأصبحوا تدريجياً جزءاً لا يمكن تمييزه من النخبة الليبية الجديدة.

ولكن كما تُظهر الحروب شبه السنوية في طرابلس والعنف في بنغازي، فإن الفلسفة الجديدة التي ميزت ليبيا منذ العام 2011 هي التدمير ولكن تحت مسمى آخر.

وتكمن جذور أوجه القصور الاجتماعي والإداري والعدالة في ليبيا في غياب عقد اجتماعي جديد، وعدم القدرة على تصنيف الحقوق والالتزامات والخصوصات الليبية بعد القذافي. وقد دفع عدم كفاية هذه العوامل الليبيين

عهدة الدولة. وفي غضون ذلك فرضت الميليشيات قواعدها الخاصة وأنشأت سجونها داخل إقطاعياتها".



طارق مجريسي  
القضاء تحول إلى مطل  
سخرية من قبل أولئك  
الذين أرهبهم

ويتابع "وبعد مرور عامين فقط من الثورة، كان لدى نظام المحاكم الليبي عشرات الآلاف من القضايا المترامية. ودفع غياب العدالة اليومية الناس العاديين إلى أن يستغيثوا مما زاد من تمكين الميليشيات والعصابات التي تعتمد على الخلافات لتزدهر".

وبعد مرور عشر سنوات زاد نفوذ أمرء الحرب وقادة الميليشيات الذين ارتدى بعضهم الزي الرسمي وتقلدوا

تحت الإنفاض، ولم تظهر على من دمر هذا النظام أي علامات للتراجع. ويقول طارق مجريسي إنه "قد يتعين على الوظائف الحكومية التي تعتبر من أهم مصادر دعم الحياة لليبيين أن تمنع نفسها الآن من الانهيار الكامل، لكن الكثيرين لم يدركوا بعد أنه سيتعين بناء الدولة الليبية المستقبلية من الألف إلى الياء".

وطال تدهور الأوضاع النظام القضائي أيضاً حيث بات يعيش شبه عطالة بسبب سطوة الميليشيات على المؤسسات الرسمية وغيرها من الأسباب التي أربكت العمل القضائي.

ويؤكد مجريسي أن "النظام القضائي الليبي تحول إلى محط سخرية من قبل أولئك الذين أرهبهم ذات يوم. تم اغتيال القضاة وتم إجبارهم على إصدار أحكام بعينها، وتعرضت المحاكم بشكل روتيني للهجوم، وخطف السجناء من

وباتت البلاد ترحز تحت وطأة حكم الميليشيات وأمرء الحرب الذين استولوا على مؤسسات الدولة ما دفع بالجيش بقيادة المشير خليفة حفتر إلى القيام بهجومه على العاصمة طرابلس في 2019 لتحريرها من سيطرة هذه المجموعات المسلحة قبل أن يفشل هجومه وينسحب الجيش تهديداً لإتمام العملية السياسية.

وبموازاة الترتيبات الجارية على الصعيد السياسي التي تتجلى في انتخاب السلطة التنفيذية المؤقتة التي ستتفرغ لإجراء انتخابات عامة في ديسمبر المقبل، يواصل الليبيون التوصل على أنفسهم في مواجهة أزماتهم، حيث يضطر هؤلاء إلى حفر الآبار وشراء المولدات الكهربائية وغيرها.

ويرى مراقبون أنه لا يوجد طريق لعودة عقد القذافي الاجتماعي، والنظام الذي طلقه في يوم من الأيام أصبح

**عبث قادة الميليشيات أصبح روتيناً ما أرغم الدولة على التوحد إليهم، بينما قرر المجتمع الدولي تطويرهم إلى شركاء**

ويوضح المحلل والباحث السياسي المتخصص في الشؤون الليبية وبشكل أعم السياسة والحكم والتنمية في العالم العربي أن ليبيا في "عهد القذافي كانت واضحة، وتبعث برسالة أن ثورة ليبيا النقطية ملك لشعبها، وأن الشعب الليبي يحصل على تلك الثورة في صورة إعانات حكومية وإسكان حكومي والأهم من هذا كله من خلال التعيين في الوظائف الحكومية. ولكن الواقع اختلف عن هذه النماذج من الأفكار وكان دائماً أكثر تنافسية من كونه يحقق مبدأ المساواة،

## أين يقع عراق الرئاسات الثلاث؟

وسيطرة مافيات الفساد على مفاصل الدولة وتكميم الأفواه واللجوء إلى القتل في مواجهة المحتجين السلميين. وهكذا تكون الرئاسات الثلاث من خلال حديثها عن عراقها الهومي قد عبرت عن انفصالها عن العراقيين الإيرانيين والأميركي وهي تقف حيث لا عراق. الرؤساء الثلاثة إنما يتحدثون عن عراق لا وجود له.

تلك هي العقدة التي تتحكم بالنظام السياسي العراقي. فهو نظام معلق في الهواء لا صلة له بأي واقع. فالعراق الحقيقي هو أسير الصراع الأميركي - الإيراني. وهو صراع لا نهاية له. ذلك لأنه يعتمد على تقاسم لا نهاية له بين إيران والولايات المتحدة في المصالح.

النظام السياسي في العراق ليس سوى واجهة. ما يقوله الرؤساء الثلاثة في مختلف المناسبات إنما هو نوع من التسالي التي تقع خارج الملعب. فالعراق في حقيقة ما هو عليه إنما هو ساحة للصدام بين الولايات المتحدة وإيران. وما يحدث فيه إنما يشير إلى مزاج الأزمة بين الطرفين. لذلك لا اعتقد أن الرؤساء الثلاثة لا يدركون أن العراق الذي يتحدثون باسمه هو بلد محتل وهم ليسوا أحراراً في تقرير مصيره. فاحتلوا هم الذين يقررون ما إذا كان يصلح ساحة للقتال بينهم أم لا.

سياسيو العراق يكتبون إلى النفس الأخير. فهم يخترعون عراقاً وهمياً ولا يشعرون براءة مشهدهم وهم يتحدثون عن سيادته وأهمية الحفاظ على حياده.

ذلك العراق الذي تحكمه ورقيا خرافة "الرئاسات الثلاث". أما على الأرض فإن الميليشيات الإيرانية هي التي تحكم ذلك العراق وتتحكم بمصيره من جهة كونه الحديقة الخلفية لإيران.

لا يزال بعض العراقيين يعتقدون أن الأمل يكمن في عودة ذلك العراق، أي العراق الأميركي، إلى الوجهة بالرغم من علمهم من أن فكرته قد تم إجهادها قبل أن ترى النور وأن هناك أطرافاً في الإدارة الأميركية يعارضون التورط مرة أخرى في المسألة العراقية لكي لا يذكروا مواطنهم بماسي الحروب. والمقصود هنا قتلى الجيش الأميركي وجرحاه وليس ما شهده العراقيون من قتل ودمار وتشريد وخراب لا تزال آثاره قائمة حتى هذا اللحظة.

غير أن ما لا يمكن نفيه أن الولايات المتحدة قد تركت العراق ولم تتركه في الوقت نفسه. تلك ليست أحجية. تخلت الولايات المتحدة عن مسؤوليتها عما انتهى إليه العراق وعما جرى له وما يعيشه اليوم وعن وقوعه تحت الهيمنة الإيرانية من خلال وكلاء إيران المسلحين، وهي في الوقت نفسه لم تتخل عن مصالحها التي شنت الحرب وقامت بالغزو من أجلها، وهي تقوم بحماية تلك المصالح بغض النظر عما إذا كان يقع بالتنسيق مع الحكومة العراقية أو أنه جزء من ضريبة الاحتلال التي يجب أن يدفعها العراق.

العراق الواقعي، أي العراق الإيراني، وهو عراق كل يوم الذي يعيش تفاصيله العراقيون في كل منعطف من منعطفات حياتهم فإنه هو

قد أقر بقوة العراق الإيراني فإن العراق الأميركي لم يخف عن الوجود بل أنه حقيقة ملحة تفرض نفسها بجرارة على سبل التفكير بما جرى للعراق منذ أن تم احتلاله من قبل القوات الأميركية وحتى اليوم.

لا يزال بعض العراقيين يعتقدون أن الأمل يكمن في عودة ذلك العراق، أي العراق الأميركي، إلى الوجهة بالرغم من علمهم أن فكرته قد تم إجهادها قبل أن ترى النور وأن هناك أطرافاً في الإدارة الأميركية يعارضون التورط مرة أخرى في المسألة العراقية لكي لا يذكروا مواطنهم بماسي الحروب. والمقصود هنا قتلى الجيش الأميركي وجرحاه وليس ما شهده العراقيون من قتل ودمار وتشريد وخراب لا تزال آثاره قائمة حتى هذا اللحظة.

غير أن ما لا يمكن نفيه أن الولايات المتحدة قد تركت العراق ولم تتركه في الوقت نفسه. تلك ليست أحجية. تخلت الولايات المتحدة عن مسؤوليتها عما انتهى إليه العراق وعما جرى له وما يعيشه اليوم وعن وقوعه تحت الهيمنة الإيرانية من خلال وكلاء إيران المسلحين، وهي في الوقت نفسه لم تتخل عن مصالحها التي شنت الحرب وقامت بالغزو من أجلها، وهي تقوم بحماية تلك المصالح بغض النظر عما إذا كان يقع بالتنسيق مع الحكومة العراقية أو أنه جزء من ضريبة الاحتلال التي يجب أن يدفعها العراق.

تكتنف عملية الصراع بين الخليجيين إيران والولايات المتحدة بالرغم من أن العراق يرتبط بكل واحد منهما بصلات تؤهل شعبه للحصول على معلومات تتجاوز المعلومات التي يمكن الحصول عليها من خلال الرجوع إلى تاريخ تلك الصلات.

لطالما اختلف العراقيون في تصنيف اتجاهاتهم وولاءاتهم وانقسموا بين عراقيين: عراق أميركي وعراق إيراني. وإذا كان الواقع المسلح

وطنية تفرض من خلالها حيادها على الآخرين. ولكن العراق ساحة حرب حقيقية. العراقيون هم وقود تلك الحرب. أما الهدف من تلك الحرب فهو لا يمت بصلة إلى حاضر العراق ولا إلى مستقبله وإن كان يتحكم بمصيره الذي لا يزال ضبابياً.

العراقيون لا يعرفون شيئاً عن مصيرهم ولا حتى عما يجري أمام أعينهم وهم غير ملمين بالأسرار التي



فاروق يوسف  
كاتب عراقي

لا يفوت السياسيون العراقيون بمن فيهم رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة فرصة للحديث عن السيادة الوطنية إلا وركزوا من خلاله على أهمية ألا يكون العراق ساحة لتصفية الحسابات بين الخصوم. كما لو أن العراق دولة تمتلك حقاً سيادة



الشاعر العراقي منقسم: عراق أميركي وعراق إيراني